

الجرد الوطني للتراث الثقافي الأمازيغي

بطاقة جرد عنصر رقم 7/050

1- تحديد العنصر

- الاسم العنصر

صناعة الغليون بطبرقة.

- أسماء أخرى متداولة في المجتمع المحلي

صناعة الغليون/ صناعة البيبا.

- الإطار الجغرافي لانتشار العنصر



تقع مدينة طبرقة أقصى الشمال الغربي للبلاد التونسية وهي مدينة ساحلية تتبع إدارياً ولاية جنندوبة، تحظى بغطاء نباتي هامّ ومتنوع ساهم في انتشار العديد من الحرف التقليدية المرتبطة بالأشجار والنباتات وترتكز أساساً على استخدام الخشب والألياف النباتية. ونختص بالذكر من بين هذه الحرف حرفة صناعة الغليون التي تشتهر بها طبرقة دون غيرها من جهات البلاد، وقد ساهم توفر المادة الأولية الرئيسية المستخدمة في هذه الحرفة على عين المكان، في انتشارها وتواصلها.

- مجال أو مجالات انتماء العنصر

المهارات المرتبطة بالحرف التقليدية.

2- وصف العنصر

- الوصف التفصيلي

تتميز مدينة طبرقة بصناعة الغليون وهو أداة تُستخدم لتدخين التبغ تُصنع بأشكال وألوان مختلفة مع تقارب على مستوى الأحجام. وقد انطلقت هذه الحرفة مع بداية سبعينات القرن العشرين تقريباً، حيث تقطن باعثها إلى تزايد الطلب على الغليون في تونس وتوفر المادة الأولية بالمنطقة فقام بتأسيس ورشته

وشراء المعدات اللازمة والتحق به ابنه ليأخذ عنه ما يتقنه من مهارات. إلا أن ممارسة هذه الحرفة توقفت مدة من الزمن بعد موت الحرفي ثم ابنه، ليتولى الحفيد إحياءها من جديد وذلك سنة 2010.

استخدم الغليون للتدخين منذ العصور القديمة حتى أن الرومان قد استعملوه لتدخين الأعشاب الطبية قصد العلاج، وتزايد استخدامه في الدول الأوروبية خلال القرن السابع عشر حيث استخدمت بريطانيا الغلايين الفخارية قبل أن يتطور إنتاجها عبر استعمال مواد أخرى مثل الخشب والعاج وبعض أنواع الأحجار وغيرها من المواد. وقد كشفت الحفريات الأثرية أن الغلايين الفخارية التي وجدت في دول شمال إفريقيا تحديدا بالمغرب والجزائر وتونس وموريتانيا تعود إلى فترات تاريخية مختلفة. وساهمت الحفريات الأثرية المنجزة بتونس بجهات مختلفة من البلاد مثل غار الملح وحلق الواد وطبرقة والمنستير وجربة في استخراج مجموعات متنوعة من الغلايين الفخارية العثمانية والأوروبية يعود بعضها إلى القرن السادس عشر وبعضها الآخر إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر في دلالة واضحة إلى انتشار هذا العنصر عبر مراحل مختلفة من تاريخ البلاد. وقد برزت أهمية الغلايين العثمانية خاصة خلال القرن الثامن عشر، حيث أصبح الغليون رمزا ثقافيا يشير إلى الانتماء الاجتماعي الراقي، حتى أن أثرياء بعض الدول الأوروبية وأفراد من عائلاتها الحاكمة لم يترددوا في تقليد العثمانيين في استخدامهم للغليون واعتباره دليلا على الثراء والفخامة. وترجع بعض الدراسات أن الغلايين المكتشفة في بلدان المغرب العربي كانت مستوردة قبل أن يتم صنع هذه القطع الفخارية محليا.

- المواد الأولية الأساسية

تعتبر نبتة البوحاد أو نبتة الكربون المادة الأولية الرئيسية لصناعة الغليون، يتم جلبها من داخل الجهة حيث تنمو في جبال وغابات طبرقة وعين دراهم ويتم جمعها مرة أو مرتين في السنة. ويستخدم من هذه النبتة فقط جذورها المعروفة بقدرتها على تخزين الحرارة. ويتم في مرحلة أولى قص جذور النبتة بطريقة احترافية إذ تتطلب هذه العملية دراية بطريقة القطع حتى لا تتعرض الجذور إلى التلف ويمكن أن تمر سنوات حتى يتقن الحرفي هذه العملية. تقطع الجذور إلى قطع متقاربة في الحجم ثم يتم غليها في الماء بقدر مئة درجة مئوية لمدة 18 ساعة تقريبا، ثم تجفف في مكان مخصص أعد للغرض، مخزن على سبيل المثال، حيث يستغرق تجفيفها مدة من الزمن قدرت بين ثلاث وأربع سنوات وأحيانا أكثر، تجفيفا كلياً حتى تصبح صالحة لصنع الغليون، فبقدر ما تفقد النبتة الرطوبة بقدر ما تكون أفضل على مستوى جودة الغليون.

- مراحل صنع الغليون

يأخذ الحرفي القطعة المجففة ويشرع في صنع غليونه، فيبدأ بتحديد مكان وضع النبتة ويقوم بثقبه بألة خاصة بالثقب حيث يتراوح قطر الثقب تقريبا بين 3.4 و 4.4 صم، ثم يثقب مكان وضع المبسم أو ساق الغليون. ويشرع الحرفي في نحت غليونه في شكله الأولي بعد أن حدّد بمخيلته كيف سيكون هذا الشكل مستخدما آلة أخرى، فتنبعث في المشغل رائحة نبتة البوحاد التي تختلف باختلاف التربة التي زرعت فيها النبتة والتي اقلعت منها. وقد يتنبه الحرفي خلال هذه المرحلة إلى وجود شوائب طبيعية في القطعة تعود إلى النبتة فيضطر إلى التخلص عن استخدامها حفاظا على جودة المنتج، وهناك تقريبا واحدة على خمس قطع تظهر بها شوائب ولا يتم استغلالها.

ينتقل الحرفي إلى عملية الصقل ليصبح الغليون أملسا وتتطلب هذه المرحلة وقتا أطول وتركيزا أكبر، حيث يعكف الحرفي على منح الغليون شكله النهائي وفق ضوابط حرفية عالمية يتوجب مراعاتها مستخدما بالتوازي مع الآلة الكهربائية ورق الصنفرة (الكاغد الأحرش). ويحرص الحرفي عند صقل الغليون على تخليصه من أي اعوجاج أو تحريف في الشكل أو المظهر، ثم يتولى إثر ذلك تركيب ساق الغليون البلاستيكية قبل أن يقوم بصبغه.

- صباغة الغليون

تمثل الصباغة آخر مرحلة من مراحل صنع الغليون بعد الفراغ من شكله النهائي وذلك بإعتماد نوعين من الصباغة: صباغة طبيعية أي استخدام مكونات طبيعية للحصول على مادة ملونة يُصبغ بها الغليون ونذكر أساسا استخدام قشور الجوز أو قشور الرمان وذلك بطحنها وخطها بالماء وتركها جانبا مدة من الزمن (قاربة شهرين). وتمكن قشور الجوز من الحصول على اللون البني بينما تعطي قشور

الرمّان لونا أسودا بنيا، طبعا مع مراعاة لون نبتة البوحّداد الذي يميل إلى اللون الداكن. أمّا النّوع الثاني من الصّباغة فيقوم على استخدام حبر الطّباغة خاصّة اللون الأسود. ويمكن استعمال لون موحدّ لصبغ الغليون كما يمكن صنع خليط من الصّبغات للحصول على لون مختلف، وبعد الصباغة تنظّف القطعة حتى الحصول على اللّمعان المطلوب. وبعد الفراغ من صبغ الغليون يعمد الحرفي إلى دهنه بزيت بذور الكتّان huile de lin أو أحيانا بزيت الزّيتون ويترك ليلة كاملة حتّى يتشّرب الزيت ويصبح لونه أكثر لمعانا.

- العناصر الماديّة واللاماديّة المصاحبة للممارسة أو المهيكلة لها (الفضاء/ الأزياء/ الأدوات...)

تضمّ الورشة آلات ميكانيكية قديمة تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تمّ اقتناؤها من قبل باعث الحرفة من خارج البلاد وتركيبها في ورشته. ونذكر من الأدوات المستعملة :

- آلات الثقب: تستخدم في ثقب قطعة البوحّداد.
- آلات النحت والتشكيل: تستخدم في إعطاء الغليون شكله الأوّلي ثمّ نحته وتشكيله لضمان شكله النّهائي.
- أدوات قياس الحجم.
- فرشاة لدهن الغليون و أواني لخلط الصّبغات.

يلبس الحرفي أحيانا القفّازات في بعض مراحل العمل، ويضع كامامة على فمه لتجنّب الغبار عند قصّ قطعة البوحّداد أو خاصّة عند ثقبها أو نحتها.

- الممارسات العرفيّة التي تنظّم أو تمنع الوصول إلى العنصر

- لا توجد ممارسات تمنع الوصول إلى العنصر.

- كفيّة التعلّم وطرائق النشر بين الأعضاء والتمرير للنّاشئة

توارث الحرفي هذه المهارة عن والده الذي تعلّمها بدوره عن أبيه وأدخل عليها إضافات على مستوى الشّكل فإنّقلت المهارة من الجدّ إلى الحفيد، وتلقّى هذا الأخير مساعدة من أحد قدماء الحرفيين في هذا المجال ليعيد إحياء هذه الصّناعة. وقد انحصرت صناعة الغليون في هذه العائلة دون سواها من عائلات المدينة.

3- الفاعلون المعنيون بالعنصر

- حملة العنصر من الممارسين له بشكل مباشر

- الحرفيون المختصّون في صناعة الغليون.

- مشاركون آخرون

- المشتغلين في قطاع الفلاحة والعاملين في غابات الجهة (زراعة و جلب نبتة البوحّداد).
- دكاكين بيع التّحف والهدايا.

- منظمات غير حكوميّة/ المجتمع المدنيّ

- الجمعيّة التونسيّة للسياحة العادلة والمتضامنة بطبرقة.
- جمعيّة "كلّنا حرفة" بطبرقة.
- Association "Le Pays Vert: La Tunisie du Nord-Ouest", à Paris.

- هيئات رسميّة

- المعهد الوطني للتراث: قسم المسح ودراسة الممتلكات الإثنوغرافية والفنون المعاصرة.
- وزارة الشؤون الثقافية: إدارة التراث.
- المندوبية الجهوية للثقافة بجندوبة.
- المندوبية الجهوية للصناعات التقليدية بولاية جندوبة.
- إدارة الغابات بجندوبة.

4- مدى قابلية العنصر للاستمرار: العراقيل والتهديدات

- من بين المشاكل التي تهدد العنصر:
- ارتفاع تكلفة صناعة الغليون خاصة أمام صعوبة استخراج جذور نبتة البوحداد من الغابات المجاورة ونقص الكبير في الكمية التي يتم جلبها من الغابة (من مرة إلى مرتين في السنة).
 - اللجوء أحيانا إلى استيراد المادة الأولية من بعض الدول.
 - الإقبال الضعيف على شراء الغليون على المستوى المحلي ليقصر اقتناؤه على تقديمه كهدية.
 - انخفاض سعر الغليون في السوق المحلي بحيث لا يغطي الثمن تكلفة صنعه، علما وأنه يتم شراء الغليون في كثير من الأحيان من قبل رجال أعمال بأثمان زهيدة ليبيع خارجا أضعافا مضاعفة.
 - عزوف الشباب عن تعلم هذه الحرفة.
 - غياب سياسة محلية لدعم هذا القطاع.

5- برامج التثمين وإجراءات الصون

- على المستوى الداخلي لا توجد إجراءات صون للمهارات والمعارف المتعلقة بصناعة الغليون ولكن فقط بعض خطوات التثمين كمشاركة المنتج في المعارض الجهوية والوطنية وترويجه في بعض المدن حيث يباع حاليا في مدن طبرقة وتونس وسوسة وجربة. إلا أن تسويقه خارج البلاد يعتبر أكثر أهمية حيث تم بيعه مؤخرا في كندا وسويسرا وأستراليا. كما يشارك غليون طبرقة في العديد من المعارض الدولية في برلين وميلانو وفرنسا.
- تسليط الضوء على صناعة الغليون من خلال تقديمها في البرامج التلفزية الوطنية والخاصة إضافة إلى بعض القنوات الخارجية.
 - تطرق بعض الصحف المحلية والخارجية في السنوات الأخيرة إلى صناعة الغليون بطبرقة وتحرير مقالات صحفية بهذا الخصوص.

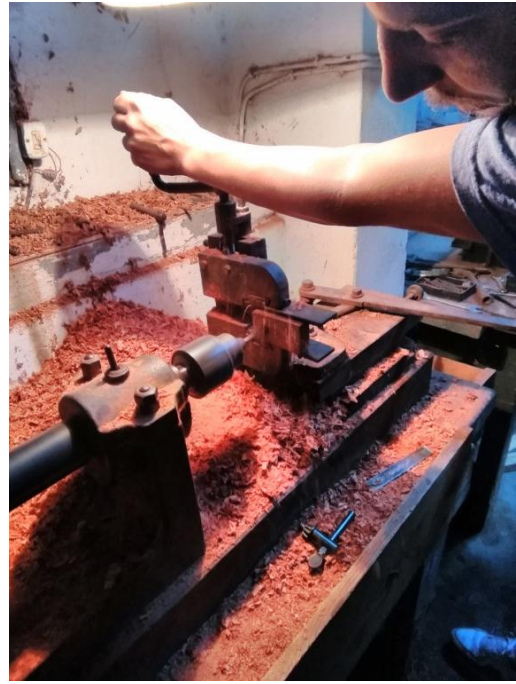
6- التوثيق الفوتوغرافي للعنصر



نبته البوحداد بعد تجفيفها وإعدادها لصناعة الغليون



قَصّ البوحْدَاد إلى قطع متقاربة في الحجم



ثُقْب القطع



نحت الغليون في شكله الأولي



إحداث بعض اللمسات الأخيرة



صباغة الغليون



الغليون قبل صبغه



مجموعة من الغلايين الجاهزة

7- هوية الشخص المرجعية المعتمدة في استيقاء البيانات

- أنيس بوشناق، 36 سنة، 8 سنوات خبرة في هذا المجال، توارث الحرفة عن والده وجدّه الذي نقل الحرفة عن الأوروبيين، 74 نهج الحبيب بورقيبة طبرقة، الهاتف 24.270.368.

- عبد السلام الهيمسي، 62 سنة، حرفي مختصّ في صناعة الغليون، قرابة 38 سنة أقدميّة، يعمل في نفس ورشة صناعة الغليون التابعة لعائلة بوشناق، الهاتف 98551808.

8- المصادر والمراجع - المكتوبة

- Alexis (L.), Alain (M.), *La grande histoire de la pipe*, Flammarion, 1993.
- Deffoux (L), *Pipe-en-bois, témoin de la commune*, Les Editions de France, Paris, 1932.
- Frank (G.A) *Le livre du fumeur de pipe*, Editeur Robert Laffont, Paris, 1969.
- Guyot (G.), *Les pipiers français, Histoire et traditions*, Editeur Guyot, 1992.
- Parvulesco (C.), *Pipes & Tabacs*, Editions Herscher, 2002.

- شعبان (أحمد)، "مشاكل تاريخ الدخان والتدخين بالمغرب: تاريخ استعمال الغلابيين الفخارية نموذجاً"، نشر ضمن أعمال ندوة قضايا في تاريخ المغرب الفكري والاجتماعي، منشورات كلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء، 2010، ص.79-89.

- السّميّة البصريّة

- تقرير لقناة نسمة حول صناعة الغليون بمدينة طبرقة، أكتوبر 2016.
<https://www.youtube.com/watch?v=jvuc20L1UnA>
- Vidéo de HuffPost Tunisie, intitulée "Artisan pipier, un métier rare qui subsiste en Tunisie grâce à Anis Bouchnak", le 21/02/2018.
https://www.huffpostmaghreb.com/entry/pipe-tunisie-bouchnak_mg_19283714

- المواد الوثائقية المحفوظة في المتاحف والأرشيفات والمجموعات الخاصّة

- وجود عدة غلابيين تعود لعائلة بوشناق بمتحف الغليون بامستردام.
<http://www.pipemuseum.nl/index.php?hm=4&dbm=1&pk1=80&wmod=dia&startnum=648&id=29417#6>
- عرض بعض الغلابيين التونسيّة في متاجر الهدايا في فرنسا.
- عرض بعض الغلابيين بدار المرجان بطبرقة.
- مجموعات من الغلابيين الفخاريّة المحفوظة بمخازن المعهد الوطني للتراث بتونس والمنستير.

9- معطيات تقنية حول عملية الجرد - تاريخ البحث الميداني ومكانه

5 و 6 و 7 سبتمبر 2019 بمدينة طبرقة.

- جامع أوجامعو المادّة الميدانيّة

- عبد العزيز الهيمسي، رئيس الجمعية التونسية للسيّاحة العادلة والمتضامنة بطبرقة/ مبروكة الطّبال، محافظ تراث قبليّ/ إسمهان بن بركة، مكلفة بالبحوث بالمعهد الوطني للتراث بتونس/ وفاء حسني، محافظ تراث باردو/ هدى بوريال كاهية مدير بوزارة الشؤون الثقافية/ محمّد المقدّم، محافظ تراث تونس/ عماد بن صالح، محافظ تراث الجّم/ صبحي الهيمسي، محافظ تراث طبرقة.

- تاريخ إدخال بيانات الجرد

19 و 20 سبتمبر 2019.

- محرر البطاقة

إسمهان بن بركة، مكلفة بالبحوث بالمعهد الوطني للتراث بتونس.

- تحيين المعطيات